السَّنة الثانيةُ والسبعونَ بعد المئة

فيها خرج الرشيدُ إلى مَرْج القلعةِ يرتاد منزلاً، وكان قد استوخم بغداد، فلمَّا نزل مرجَ القلعة، مرض فعاد إلى بغداد.

وفيها ولَّى أخاه عُبيدَ[1] الله بنَ المهديِّ بلادَ إرمينية، وعزل عنها يزيدَ بن مزيد، وأغزى الصائفةَ إسحاقَ بن سليمانَ بنِ علي، ووضع عن أهل السَّواد العُشرَ الذي كان يؤخذ منهم بعد مقاسمةِ النِّصف.

وفيها زوَّج الرشيدُ العبَّاسةَ بنت المهديِّ من محمد بنِ سليمانَ والي البصرةِ ونقلها إليها، وهي أوَّل بنتِ خليفةٍ من بني العباسِ نُقلت من بلدٍ إلى بلد.

وفيها ولَّى الرشيدُ معاذَ بن معاذٍ القضاءَ على البصرة، فلم يحمدْ أهلها أمرَه وكرهوه، فصرفه، فأظهروا السرورَ بعزله، ونحروا الجُزُرَ وتصدَّقوا، فاختفى خوفاً منهم، وقدم بغدادَ فاعتذر، فقبل الرشيدُ عذرَه وأعطاه ألفَ دينار، وكان من الأَثبات الثِّقات في الحديث.

وحجَّ بالناس يعقوبُ بن المنصور عمُّ الرشيد.

عبدُ الرحمن بن معاويةَ

ابن هشامِ بن عبد الملك بن مروان، أبو المطرِّف، الداخل. وأمُّه بربرية، اسمُها راح[2].

ولد بدَير حَنِيناءَ من عمل دمشقَ[3] في سنة ثلاثَ عشرةَ ومئة، ولما زال ملكُ بني أميةَ تفرَّقوا في البلاد هرباً من بني العبَّاس، فدخل عبدُ الرحمن المغربَ في سنة ستٍّ وثلاثين ومئة[4] في أيَّام أبي جعفر، فبويع بجزيرة الأندلس. وقيل: دخل مصرَ مستخفياً، ثم خرج

(١) في (خ): عبد، والمثبت من المصادر. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٢٣٦، والمنتظم ٨/ ٣٤٣، والكامل ٦/ ١١٨.

(٢) في (خ): واح، والمثبت من جذوة المقتبس ص٨، وتاريخ دمشق ٤٢/ ١٣.

(٣) قال الذهبي في السير ٨/ ٢٤٥ : مولده بأرض تدمر.

(٤) وقيل: سنة ١٣٨، وقيل: سنة ١٣٩. انظر تاريخ خليفة ص٤١٥، وتاريخ الطبري ٧/ ٥٠٠، وجذوة =

إلى بُرْقة، فأقام بها خمسَ سنين، ثم خرج يريد الأندلس، فنزل ببيرة المراكب، وكانت البلادُ مفتوحة، فيها يمانيةٌ ومُضَرية يقتتلون على العصبية، وكان معه مولاه بدر، فدخل بينهم يتحسَّس الأخبار، فقال للمضرية: لو وجدتم رجلاً من أهل بيتِ الخلافة أكنتم تقومون معه وتبايعونه؟ قالوا: وكيف لنا بذلك؟! فاستحلفهم بدر، فلمَّا استوثق منهم قال: هذا عبدُ الرحمن بن معاويةَ من بيت الخلافة، فأتَوا إليه وبايعوه، فأقام والياً عليهم ثلاثاً وثلاثين سنةً وأربعة أشهر، وهو أوَّل ملوكِ بني أميةَ بالمغرب.

وكان يوسفُ الفِهريُّ يدعو إلى نفسه بالمغرب، فلمَّا دخل عبدُ الرحمن لم يكترثْ له يوسف، ونزل عبدُ الرحمن الأندلس، فأطاعه أهلُها وقالوا: هذا من بيت الخلافة، وفي زمان عمِّه الوليدِ فُتحت الأندلس، واستفحل أمرُه، فقاتله يوسفُ الفهري، وكان أهلُ يوسفَ ومقرُّه بقرطبة، فدخل الفهريُّ طُلَيطلة واستنصر بالفرنج وبملكها، فأنجدوه على عبد الرحمن، وخرج بالجيوش، فالتقوا على قرطبةَ واقتتلوا، فقال عبدُ الرحمن: مَن أتاني برأس الفهريِّ فله كذا وكذا من المال، فأتاه رجلٌ من أصحابه برأسه، فدخل قرطبةَ وبها عيالُ يوسفَ فلم يَعرِضْ لهم.

وكان المنصورُ يثني على عبد الرحمن، قال يوماً لأصحابه: مَن صقرُ قريشٍ الذي قهر الأعداءَ وساس الملكَ وسكَّن الزلازل؟ فقالوا: أنت، فقال: ما قلتم شيئاً، ولكن ذاك الذي قطع الفيافيَ والقفار، والجزائرَ والبحار، وأَوغل في بلاد المغرب، وقد قُتل قومُه وزال ملكُهم، فدخل بلداً أعجميًّا مُفرَداً، فمصَّر الأمصار وجنَّد الأجناد، ودوَّن الدواوين، ولم يزل يضرب العدنانيةَ بالقحطانية، والقحطانيةَ بالعدنانية، والمضريةَ باليمانية، حتى أقام مُلكاً داثراً بعد انقطاعه، بحسن تدبيرِه وشدَّة شكيمته، ذاك عبدُ الرحمن بنُ معاوية.

وسأل مالكُ بن أنسٍ رجلاً من أهل الأندلسِ عن سيرة عبدِ الرحمن، فقال: يلبس الصوفَ ويأكل خبزَ الشعير، ويجاهد في سبيل الله، وعدَّد مناقبه، فقال مالك: ليت أنَّ اللهَ زيَّن حَرَمنا بمثله. وبلغ عبدَ الرحمن، فسُرَّ بقوله، وجمع أهلَ الأندلس على مذهب مالك، وكانوا قبل ذلك على مذهب الأَوزاعي، فهذا سببُ اجتماعِ المغاربة على

= المقتبس ص٩، والكامل ٥/ ٤٨٩، والسير ٨/ ٢٤٥.

مذهب مالك.

وثار عليه ثائرٌ بالمغرب، فأُخذ وجيءَ به على بغل مكبَّلٌ بالحديد، فنظر إليه وقال: يا بغل، ماذا تحمل من الشِّقاق والنِّفاق؟! وأَمر بقتله، فقال الثائر ـ وأشار إلى فرس عبدِ الرحمن ـ: يا فرس، ماذا تحملين من العفو والرَّحمة، فعفا عنه وأَحسن إليه.

وقال أبو جعفرٍ القَيرواني: مات في سنة اثنتين وسبعين ومئةٍ وهو ابنُ ستِّين سنة، وكان ملكُه أربعاً وثلاثين سنةً وخمسةَ أشهر، ثم ولي بعده ابنُه هشامٌ لتسعٍ خلونَ من جُمادى الأولى سنةَ اثنتين وسبعين، وهو ابنُ إحدى وعشرين سنة[1].

وقال الحُميدي[2]: كان عبدُ الرحمن على سيرةٍ جميلة، وأَثنى عليه، قال: ومن قُضاته معاويةُ بن صالحٍ الحضرمي، كان شاعراً، ومن شعره: [من الخفيف]

أيها الراكبُ المِيمِّم أرضي ... أَقْرِ من بعضيَ السلامَ لبعضي
إنَّ جسمي كما علمتَ بأرض ... وفؤادي كما علمتَ بأرض
قُدِّر البَينُ بيننا فافترقنا ... وطوى البينُ عن جفونيَ غُمضي
قد قضى اللهُ بالفراق علينا ... فعسى باجتماعنا سوف يقضي

الفضلُ بن صالحٍ

ابن عليِّ بن عبدِ الله بن عباس، أبو العباسِ الهاشمي. ولي إِمرةَ دمشق، وعمل أبوابَ جامعها والقُبَّةَ التي في الصَّحن، وتُعرف بقبة المال، فتوفِّي وهو ابنُ خمسين سنة، وكان شاعراً فصيحاً، وهو القائل: [من السريع]

عاش الهوى واستُشهد الصبرُ ... وعاث فيَّ الحزنُ والضُّرُّ
وسهَّل التوديعُ يومَ النَّوى ... ما كان قد وعَّره الهجر[3]

(١) تاريخ دمشق ٤٢/ ٢١ عن أبي جعفر القيرواني أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الجزار، صاحب «التعريف بصحيح التاريخ». وانظر جذوة المقتبس ص١٠، والسير ٨/ ٢٥٣، ففيهما أنه كان في الثلاثين من عمره.

(٢) في جذوة المقتبس ص٩.

(٣) تاريخ دمشق ٥٨/ ٦٥ ـ ٦٧.